

المتجاوب؟ وكان التأثر بالغاً. وما كان المضمون ليهم كثيراً. فقد كان كل الأمر في نبرة الصوت، في بعض الأسماء المباركة التي كانت تطفو، في الوجه الناحل لذلك الرجل ذي الساق الملتوية القادم من الأراضي المقدسة.

ولم يكن هو نفسه يسعى إلى مفاجأة مستمعيه. وإذا كان يسلك نفسه مباشرة في خلافة «يسوع» فقد أخذ يُعيد بأمانة أقواله كما كان «توما» قد نقلها. ولم تكن طريقته بالجديدة. فقد كان مسيحيو الإمبراطورية الرومانية يتصرفون هكذا في كُنُس الشتات. كانوا يُعرفون بأنفسهم مُعلنين أنهم قدموا رأساً من (القدس)، ويذكرون ما جَدُّ من أمور خاصة بالطائفة، وينقلون ما يكابده سَكَّان (اليهودية) من بؤس وانتظار، ويتحدَّثون عن التوراة مُستشهدين من الذاكرة بالنصوص المُنيئة بمجيء «مسيح مخلص»، ثم يرحون بأنه ربما كانت النبوءات في طريقها إلى التحقق من خلال ما كان يعانيه اليهود في ذلك الوقت من حَصْر. وكان أشدهم مكرراً يتمكّنون من الحديث طويلاً، وحين كانت تُكشف أفتعتهم في نهاية الأمر فبعد أن يكونوا قد أفلحوا في إغواء قسم من الحضور، أو على الأقل في إثارة الرغبة في سماع المزيد. وكان بعض الأشخاص يتبعونهم إلى الخارج، بل يدعونهم في بعض الأحيان لإكمال تعليمهم في منازلهم. وهكذا كان حوارِي من الحواريين يتميَّز بلباقته ومهارته من أولئك المهتاجين الذين كانوا ما إن يدخلون الكنيس حتى يجأروا بمعتقدهم الجديد، ثم لا يلبثون أن يجدوا أنفسهم في الخارج، وحدهم، وقد أوسعوا ضرباً أحياناً، حتى قبل أن يكون جميع الحضور قد أدركوا سبب طردهم.

وتبعاً لهذا المعيار فقد كان «ماني» من معدن أعظم المبشرين، «بولس» أو «مرفص» أو «توما»، وهو يتصرف في البيع والكنائس تصرف أسلافه في الكُنُس. وبالقدر الذي كانوا يتمتعون به من الاقتناع والإيمان. وكما أن مسيحيي (فلسطين) الأوائل كانوا يعتبرون أنفسهم يهوداً خيراً من اليهود، بل ربّما اليهود الوحيدون الحقيقيون، فقد كان «ماني» مقتنعاً بأنه جاء يكمل رسالة «المسيح» ويصقلها في عقيدة شاملة كفيفة بجمع كل معتقدات البشر الصادقة.